السوناتة الرابعة عشرة

— ١ —

وانفتحت كوة هذا الدرب
وانفتحت تحكي قصة قلب
كان وحيدا
وكان يموت بلا عينين
بلا قدمين
يجوع وكان الحبر المر طعامه
وهذا الليل العالق فوق جراح الناس ،
يمد ظلامه
أنا أسمع وحدي
أنّات سوناتا الجرح الدامي

— ٢ —

زيت مصابيح الثوار المشتعله
ليس طريقي غير حراب مسنونه
فلتزأر هذي السحب المدفونه
في الجدران
يا وطن الاوطان ،
أفتش عنك
أفتش عن عينيك
أفتش ويميني سأعود اليك
. . .

— ٣ —

هجمت هذي الديدان
هجمت مثل الموت الاصفر كالسرطان
هجمت تطفىء نجم الليـــل العاري
في الشطآن

— ٤ —

بداك من فولاذ
سوّرت دربنا الوحيد بالاسلاك
زرعت فوق هذه الاسوارة الفضية
اسمي حديقة من الازهار
على حيطان
وفي شباك بلبل سجين
يظل في المساء
يضيء فوق خيط نجمة بعيده
أيامه المسدوده
الى لقاء
زهرة البكاء
. . .

— ٥ —

من الفيوم
كقطرة بيضاء فوق هذا الدم
كان القمر
يسيل
عيناه تقطران بالدموع
والسنديانة الحزينه
كقبّرة
تطوف في الليالي
على المقابر
تسائل الاحباب
أن يسمعوا
أن يرجعوا

— ٦ —

ما أوحش الطريق يا زمان ..!
الدرب مغلق الابواب ،
لا أمان
هنا مصيري المجهول طعمه كالوحل،
تبصق الضفادع الصفراء
وتختفي وراء هذا الماء
فألعن المساء
في جرح قبلة على حشائش كالضوء
كتبت أجمل الاشعار
الى عينين كان فيهما شراع غربتي
يهزه الحنين للبحار
على شواطىء تموت كل يوم
مصلوبة على أنياب
جدران هذا الليل
الطعنة النجلاء أوصدت شباكي المفتوح
سأجمع الجروح
وقبل أن يفوت
قطارها الاخير
معي الى جزيرة النسيان
ما أوحش الطريق يا زمان ..!
. . .

— ٧ —

لمن تدق هذه السوناتا ..؟
أوتارها كأنما وجيب قلب
كأنما شعاع شمعة يذوب
قد كان وجهها الذي يغيب
فراشة زرقاء فوق كل غصن
تبلُ بعد رحلة طويله
الى مسالك الوطن
أشعاري الحزينة المجدوله
لمـــن تدق .. خيمتي في الريـح
وحدها تموت
الموت زاحف هذا الرنين في الصاجات
والرعود
يدي تحجرت
سقطت كالقتيل
وكان وجهها الذي أحببت
يسير مسرعا نحو النهايه
هذا الصدى يعود
لمن تدق هذه السوناتا ..؟
هلاّ كففت ذلك المذبوح لن يعود
قلبي على الثرى في آخر الحكايه
على الصليب آخر العنقود
. . .

— ٨ —

مات الذي قد كان لي
واسمه الحبيب لي
وقلبه الذي قد كان زيت مشعلي
مات الذي أهواه مات
عجيبة هذي الحياة ..!
. . .

— ٩ —

قد فرّ طائري الوحيد
يا موطني البعيد
قد مت مرتين
ولدت مرتين من جديد
. . .

— ١٠ —

الخاتمة .. وآخر المطاف

جاءني هذا المساء
جاءني يحمل فوق الليل ألواح صليب
مدّ لي عينيه أعطاني جناحه
وعلى الباب سحابه
وجهها يرمقني ،
يشحذ سيفا فوق نبضي
قال لي العراف :
أن أجمل مصباحي وامضي
هبت الريح على دربي ،
وصار العالم المسحور في قلبي دماء
سكت الجرح وما عاد الغناء
بلبلي قد كان اكليل ضياء
جاءني هذا المساء

موسكو

شوقي العمري